

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } * { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ }
{ * { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } (1-5)

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }؛ " نزلت في رهطٍ من المشركين من قريش، منهم الحارث بن قيس السهمي؛ والعاص بن وائل؛ والوليد بن المغيرة؛ والأسود بن عبد يغوث؛ والأسود بن عبد المطلب؛ وأمّية بن خلف، قالوا: يا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا، وَتَتَّبِعْ دِينَكَ وَنُشْرِكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَقَالَ: " مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ " قَالُوا: فَاسْتَلِمَ بَعْضَ آلِهَتِنَا نُصَدِّقَكَ وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ ".

فأنزل الله تعالى هذه السورة { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } أي قل لهم: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ توحيدَ الله، ليست في حالي هذه بعبادٍ ما تعبُدون من الأصنام، { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ }؛ أي ولا أنتم عابِدون إلهي بجهلكم الإخلاصَ في عبادةِ الله، { وَلَا أَنَا عَابِدٌ }؛ فيما استقبل، { مَّا عَبَدْتُمْ }؛ من الأصنام، { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ }؛ فيما تستقبلون، { مَّا أَعْبُدُ }؛ إلهي الذي أعبدُهُ.

وفي هذه القصّة أنزل الله تعالى

{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ }

[الزمر: 64]، فلمّا نزلت هذه السورة غدا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه ملأٌ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأها عليهم، فأيسوا منه عند ذلك

وآذوه وآذوا أصحابه.

وأما تكرار الكلام فمعناه: لا أعبد ما تعبدون في الحال، ولا أنتم عابئون ما أعبد في الحال، ولا أنتم عابئون ما أعبد في الحال، ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال، ولا أنتم عابئون ما أعبد في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

وقال بعضهم: نزل القرآن بلغة العرب، ومن مذهب العرب التكرار في الكلام على وجه التأكيد حتماً للإطماع، كما أن من مذهب الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز، ومثل هذا كثير في الكلام والأشعار، كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: " **إِنَّ بَنِي مُحَمَّدٍ اسْتَأْذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكَحُوا عَلِيًّا فَتَيَاتِهِمْ، فَلَا آذَنْ، فَلَا آذَنْ، إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يَسُوءُنِي مَا يَسُوءُهَا، وَيَسُرُّنِي مَا يَسُرُّهَا** ".

وكذلك قال الشاعر:

يَا عَلْقَمَةَ يَا عَلْقَمَةَ يَا
خَيْرَ تَمِيمٍ كَلِّهَا وَأَكْرَمَهُ
عَلْقَمَةَ

وقال:

أَخَيْرُكُمْ نِعْمَةً كَانَتْ لَكُمْ كَمْ وَكُمْ

{ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ } (6)

قَوْلُهُ تَعَالَى: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }؛ قرأ نافع (وَلِيَ) بالتحريك، ومعناه: لكم جزاؤكم على عبادة الأوثان، ولي جزائي على عبادة الرحمن.

وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف.